

حلف الفضول

obeikandi.com

حلف الفضول

عن عبد الرحمن بن عوف -رضى الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"لقد شهدتُ غلاماً مع عمومتى حلف المطيبين ، حلفاً ما أحب أن لى به
حمر النعم وأنى أنكثه ، ولو أدعى به فى الإسلام لأجبت"
(حديث صحيح: أخرجه أحمد و البخارى و آخرون).

.....

يتضمن هذا الحديث الشريف قصة قصيرة جداً ، ذات مغزى بعيد جداً ، لأنها
تكشف عن معنى من معانى التضامن الإجتماعى لإقامة العدل ، والمحافظة على
كرامة الناس ووحدة المجتمع ، والوفاء بالعهد وحفظ المواثيق حتى لو تم ذلك فى
الجاهلية أى قبل الإسلام .

والرسول - صلى الله عليه وسلم - يتحدث عن "حلف الفضول" الذى تنادى
إليه زعماء قريش فى دار عبد الله بن جدعان ، وكانت له منزلة كبيرة فى قومه
بحكم شرفه وسنّه ، واجتمع الحلف من بنى هاشم ، وبنى المطلب ، وأسد بن عبد
العزى ، وزهرة بن كلاب ، وتميم بن مرة ..وقرر المتحالفون وتعاهدوا على ألا يجدوا
بمكة مظلوماً إلا قاموا معه ، سواء كان من أهلها أو غيرهم ممن دخلها من سائر
الناس، وأن يكونوا معه على من ظلمه حتى تردّ عليه مظلّمته .

وهذا الحلف الذى تحكى عنه قصة الحديث الشريف يتوافق مع صميم
الإسلام فى رفضه للظلم ووقوفه إلى جانب المظلومين .

وهو ما جعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - يعبر عن حبّه لهذا الحلف ،
وأنه لا يتخلى عنه ولا ينقضه حتى لو كان المقابل حمر النعم ، وهى الإبل الحمراء
التي يعدها العرب من أكرم أنواع الإبل وأعزّها ..كما يرى الرسول- صلى الله عليه
وسلم- أنه لو دعى إلى هذا الحلف مرة أخرى لأجاب وشارك فيه وأقره وباركه ،
لأنه يمنع الظلم وينصر المظلوم ..أليست غاية الإسلام هى العدل ؟

ولا ريب أن مضمون الحلف ومغزاه يصّب في سياق التضامن الإجتماعى ووحدة المجتمع ، وهو ما يقره الإسلام ويدعو إليه على أساس الإيمان والتقوى ؛

قال تعالى :-

"وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" (سورة آل عمران الآية ١٠٣)

وإذا كان الجاهلون من قريش قد عقدوا فيما بينهم بتوجيه الفطرة والمصلحة "حلفا" يقيم العدل فيما بينهم لصالح الضعفاء والمظلومين ، حتى لو كانوا من خارج مكة ؛ فإن الإسلام يلزم المسلمين جميعاً بإقامة العدل ، ونصرة المظلوم ، ومساعدة الضعيف والشدّد على يد الظالم والمنحرف ، فاللّه سبحانه وتعالى يضع الظالمين فى صورة كربهة غير مقبولة ، وينفر منها أصحاب الضمائر الحية ؛ فهم يوم القيامة يبعثون فرادى منعزلين بلا أنصار ولا أصدقاء ولا أقارب ولا أعوان ولا شفعاء . يقول الحق تبارك وتعالى :-

".....وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ" (سورة الحج من الآية ٧١)

ويقول سبحانه :

"..... مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ" (سورة غافر من الآية ١٨)

وعن جابر -رضى الله عنه- أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :
"اتقوا الظلم ؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشحّ فإن الشحّ أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم"
(رواه مسلم) .

وحديث جابر يكشف عن عاقبة الظلم ، واقتترانه بالشحّ أى البخل ، والبخل

باب واسع للكزازة والأنانية والحرص الزائد وحب النفس حباً ينسى صاحبها كل

شئىء ، وكل هذا يؤدى إلى سفك الدماء واستحلال المحارم ، وهو ما ينهى عنه الحديث الشريف ؛ وينهض حلف الفضول فى الجاهلية لمقاومته والوقوف فى طريقه حتى يستقيم المجتمع على جادة العدل .

وفى حديث آخر رواه مسلم أيضا ، عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "لَتُؤَدَّنَ الْحَقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجِلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقِرْنَاءِ" والشاة الجلحاء هى التى لا قرن لها ، والقرناء التى لها قرنان . والحديث الشريف يشير إلى أن الظلم مُحْرَمٌ بين الإنسان والإنسان، والحيوان والحيوان ، مما يعنى أن البعث سيكون للإنسان والحيوان معا، وسيكون هناك حساب وقصاص ، حتى لو نطحت شاة قرناء شاة جلحاء .

إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - حين يذكّرنا بحلف الفضول ، فإنه يوجّهنا إلى قيم الإسلام الخالدة وفى مقدمتها التآلف والتواد والتراحم ، والتعاون على ما يحمى المجتمع الإسلامى من آفة الظلم ، ويعين الضعفاء للحصول على حقوقهم بوصف ذلك واجبا إسلاميا يفيد المجتمع كله . والعقد أو العهد أو الحلف ، معناه وعد يجب الوفاء به ، وعدم الغدر بالمعاهد ، حتى لو كان الأمر مع المعاهدين الأعداء ، فلا يجوز نقض العهد معهم دون إخبارهم بعد ظهور سبب مقنع للمنقوص .

"إِمَّا تَخَافُ بِّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ"

(سورة الأنفال : ٥٨)

حلف الفضول أول مؤسّسة تعنى بالأمن والعدل ، وكان يمكن للأمم المتحدة أن تكون نسخة جيدة منها ، لو أنصفت الدول الكبرى التى تلتهم الصغرى ، وتظلمها وتبغى عليها !!

obeikandi.com

بناء الكعبة

obeikandi.com

بناء الكعبة

عن السائب بن عبد الله - رضى الله عنه - قال : كنت فيمن بنى الكعبة فى الجاهلية ، فأخذت حجراً فسوّيته فوضعتة إلى جنب البيت . قال : فكنت أعبده من دون الله تبارك وتعالى ، فإن كان ليكون فى البيت الشىء أبعت به إليه ، حتى إذا كان يوماً لبن طيب ، الذى أنفسه على نفسى ، فأصبه عليه ، فيجىء الكلب فيلحسه ثم يشغر فيبول .

فبنينا حتى بلغنا موضع الحجر ، وإن قريشاً اختلفوا فى الحجر حين أرادوا أن يضعوه ، فقال بطن من قريش : نحن نضعه ، وقال آخرون : نحن نضعه ، حتى كاد أن يكون بينهم قتال بالسيوف ، فقالوا : اجعلوا بينكم حكماً .
قالوا : اجعلوا بينكم أول رجل يدخل من الباب ، فدخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

فقالوا : هذا الأمين ، أتاكم الأمين ، وكانوا يسمّونه فى الجاهلية الأمين ، فقالوا : يا محمد ، قد رضينا بك .

فدعا بثوبٍ فبسطه ، ووضع الحجر فيه ، ثم قال لهذا البطن ، ولهذا البطن " ليأخذ كل بطن منكم بناحية من الثوب " .

وفى رواية أخرى : " لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعاً " . ففعلوا وأخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوضعه بيده .

(حديث صحيح ، أخرجه أحمد و الحاكم) .

.....

يتناول هذا الحديث الشريف قصة بناء الكعبة فى الجاهلية قبيل بعثة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيكتشف طرفاً من حياة الناس وهم يعبدون الأصنام ، ومن ناحية أخرى يكشف جانباً من سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى قومه ، ونظرتهم إليه .

و الحديث الشريف يقدم القصة الخاصة بإعادة بناء الكعبة من خلال

أحداث متسلسلة يقدمها راو شارك فى هذا البناء، وكان يعبد الأوثان على طريقته، وإن كان مثل بقية العرب يعظم الكعبة الزهراء .

الراوى ، وهو السائب بن عبد الله ، رضى الله عنه ، هو الشخصية القصصية

الأساسية فى هذه القصة ، بالإضافة إلى شخصية الرسول – صلى الله عليه وسلم .

وشخصية السائب ، صورة للمجتمع الجاهلى ، حيث كان يعبد الأوثان من

دون الله ، ويخبرنا أنه أخذ حجراً وسواه ، وجعله صنماً يعبد ، ووضعه إلى جنب

البيت ثم يقدم لنا المفارقة الطريفة التى تكشف عن قصور واضح لدى الوثنيين ،

فهو يقدم لهذا الحجر الذى سواه إلهاً يعبد ما تشتهيئه نفسه ، مثل اللبن الذى يصبه

عليه ، فيأتى أحد الكلاب ، فيلحس هذا اللبن ويستمتع به ، فى الوقت الذى حرم منه

السائب بن عبد الله ، وتكتمل المفارقة بأن الكلب يشغر ، أى يرفع إحدى رجليه

بجوار التمثال الذى يعبد السائب ، ثم يبول عليه ويبضى إلى حال سبيله . لقد صار

السائب فيما بعد صحابيا جليلاً ، وهو حين يروى هذه المفارقة فى قصته يبين إلى

أى مدى انحط الإدراك العقلى فى العصر الجاهلى تجاه الإله المعبود ، فبدلاً من

البحث عن الإله الذى يملك كل شىء وينفع ويضر ، إذا بهم يصنعون آلهتهم من

الحجر التى يبول عليها ، بعد أن يقدموا لها من القرابين ما تشتهيئه أنفسهم ،

ويحرمونه عليها .

وتبدو هذه القصة التى تكشف عن ضلال عبادة الأوثان وانحطاطها ،

تهويداً لبيان جانب آخر من جوانب الحياة الجاهلية ، يتمثل فى ذلك التعصب

الذى يسيطر على قريش أو أهل مكة ، ويكاد يؤدي بهم إلى الاحتكام إلى السيف دون

مراعاة لقرابة أو أصرة أخوة أو رابطة نسب ، لولا أن بعض العقلاء يتدخل فى أمر

وضع الأسود ليقول : اجعلوا حكماً بينكم .

لقد طالب فريق أو بطن من قريش فى وضع الحجر فى مكان ما ، وطالب فريق آخر بوضعه فى مكان غيره ، واختلفا ، وكادا يقتتلان ، ولكن موقف العقلاء باتخاذ حكم بينهم هدأ الموقف وطيب النفوس ، وخاصة أن الاحتكام كان لأول داخل من الباب ، وازداد الموقف هدوءاً والنفوس قبولاً ، دخول محمد - صلى الله عليه وسلم - عليهم ، الذى تنبىء شخصيته عن دلالة مهمة وذات مغزى ، وهى اتصافه بالأمانة ، وتسميته بالأمين " هذا الأمين. أتاكم الأمين. وكانوا فى الجاهلية يسمونه الأمين " ومعنى ذلك أن نزول الوحي عليه كان حقاً وصدقاً ، وأن اتصافه بالأمانة كان تمهيداً لنزول الوحي وحمل الرسالة وتبليغ الأمانة . لذا فإن القوم ما كادوا يرونه حتى اطمأنت نفوسهم، وهدأت خواطرهم ، وارتضوا حكمه بأن يأخذ كل فريق بطرف من الثوب ، ويضع هو الحجر فيه ، ثم يرفعونه جميعاً وتنتهى بذلك مشكلة خطيرة ، كان يمكن أن تكون لها مضاعفات خطيرة لولا تدخله - صلى الله عليه وسلم .

لا ريب أن قصة بناء الكعبة فى الجاهلية تدل على مكانتها فى نفوس العرب وقلوبهم ، لقد حاول أبرهة أن يهدمها، ولكنه ما استطاع، فقد ردّ الله جيشه، وأرسل عليه الطير الأبايل التى ألقته عليه حجارة من سجيل ، وجعلته مع جيشه كعصفٍ مأكول .. وهذه الكعبة هى التى كان يتعبد حولها النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد نزول الوحي ، وهى التى طهرها من الأصنام والأوثان بعد الفتح الأعظم ودخول الناس فى دين الله أفواجا ، وهى التى وضع محمد حجرها الأسود فى مكانة على النحو الذى بينته قصة الحديث الشريف الذى بين أيدينا. فصلاة وسلاماً على محرّرها ومطهرها، وعلى آله وأصحابه وسلم .

obeikandi.com

الانتحار

obeikandi.com



الانتحار

عن جندب البجلي -رضى الله عنه- قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
"إن رجلاً ممن كان قبلكم خرجت به قرحة، فلما آذنه انتزع سهما من كنانته،
فنكأها فلم يرقأ الدَّمُ حتى مات .

فقال الله: عدى بادرني بنفسه، حرمتُ عليه الجنة . (أخرجه مسلم)
فى إجاز شديد تتحدث القصة النبوية الشريفة عن نمط من الناس
يستعجل نهايته بنفسه دون أن يضع فى حسبانهِ أيّاً من تعاليم الإسلام التى تحضّر
على الرضا بقضاء الله وقدره ، والصبر على البلاء ، واحتساب ما يصاب الإنسان
عند الله سبحانه ..

فهذا الرجل الذى ينتمى إلى قوم سبقوا عصر البعثة المحمدية، **أى** من الأقوام
السابقين على الإسلام . وعبرت عنه القصة بقوله "**رجلاً ممن كان قبلكم**"
تصيبه قرحة مؤلمة و**القرحة** : مفرد قروح ، وهى الدمّل أو الخراج ، من الحبات
التي تصيب الجلد وتمتلىء بالصديد والقيح .

لم يحتمل الرجل الصبر على آلامها وعذابها ، **وبلغة الحديث**
الشريف آذته ؛ أى ألمته وأتعبته .

فيهرع إلى كنانة سهامه ، **والكنانة**: هى الحافظة التى توضع فيها
السهام، **فنتزع**: أى يُخرج منه سهماً وي**نكأها**: أى يلمسها ويضغط عليها
ليفتحها ، ويخرج ما بداخلها من صديد وقيح ويفتح القرحة فتنزف صديداً ودماً ،
وهو معنى قوله : لم يرقأ الدم أى لم ينقطع ولم يتوقف النزيف ، وتكون
النتيجة الطبيعية هى الموت .

الله سبحانه يرفض هذا السلوك الذى يقود صاحبه إلى الهلاك ، وتكون
عاقبته هى تحريم الجنة عليه .

والانتحار خلة مذمومة ومستهجنة ، يحرمها الخالق ، فهو أعلم بمصلحة

عباده وهو الذى جعل حياة الإنسان غالية وثينة ، هو الذى أنشأها ، وهو الذى يستردّها ولا يجوز لأحد سواه أن يتدخل فى أمر الحياة أو الموت . والحياة نعمة من نعم الله الكبرى لا يصح أن يبدها الإنسان تحت أى ظرف من الظروف ، بل ينبغى أن يحرص عليها ويتمسك بها . ولهذا نحد الحق سبحانه ينهى عن خلة الانتحار الذميمة التى يعبر عنها بقوله " **عبدى بادرنى بنفسه، حرّمتُ عليه الجنة** " ، **وبادرنى** : أى أسرع إلى الموت بنفسه .

هناك نفوس بشرية ضعيفة ، ليست لديها القدرة على مواجهة الحياة وتحمل تبعاتها وصعابها ، لذا يسقطون فى عار التخلص من الحياة بأيديهم ، بعد الهروب من المسؤولية والواجبات ، مما يدل على ضعف الوازع والعقيدة .

والمسلم الحقيقى قوِّى الإيمان ، لا يستسلم للضعف أو المتاعب ، إنه يواجهها بروح المؤمن القوِّى الذى يصبر على المحنة ، ويتقبل الاختبار بصدر رحب ، ويؤمن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن الإيمان بالقضاء والقدر أساس راسخ من أسس الإيمان والعقيدة السليمة .

قال تعالى :-

" **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ** ^{١٠}

وَدَشِيرِ الصَّابِرِينَ " (سورة البقرة الآية ١٥٥)

وقال تعالى :-

" إِنَّمَا يُوقِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ " (سورة الزمر الآية ١٠)

وقال تعالى :-

" **وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنَ عَزْمِ الْأُمُورِ** " (سورة الشورى الآية ٤٣)

وقال تعالى :-

" **أَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** " (سورة البقرة من الآية ١٥٣)

هذه الآيات الكريمة تؤكد على قيمة الصبر وأهميته في مواجهة المتاعب و المصاعب وتحملها في رضاً و يقين بعون الله ، فهو سبحانه مع الصابرين في كل المجالات يقويهم ويساندهم ، يمنحهم الصحة في المرض و الرزق بعد الفقر ، و النصر في المعركة ، شريطة أن يكون " صبراً جميلاً " كما ورد في الآية الكريمة .

" فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥٧﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٥٨﴾ وَنَزَلَهُ قَرِيبًا " (سورة المعارج الآيات ٥٧-٥٨) و الصبر الجميل هو بذل كل ما في طاقة المسلم لمواجهة الخطر أو البلاء من علاج ودواء ، وأخذ بالأسباب ، ثم الاعتماد الكامل على الله و التوكل عليه ، و بعدئذ يأتي المدد منه سبحانه ، و تتحول المحنة إلى منحة .

يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم : عجباً لأمر المؤمن ! إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له " رواه مسلم " .

إن ظاهرة الانتحار أو التخلص من الحياة بيد صاحبها تنتج عن ضعف الإيمان وفراغ القلب من اليقين ، لذا نجد الأمم التي تخلّت عن الدين واعتمدت القوة المادية ونسيت الارتباط بالله ، تتزايد فيها هذه الظاهرة و تشيع ، فقد فقد أهلها الهدف والغاية في الحياة ، وتجاهلوا مهمة الإنسان في أرض الله ، فأقدم أفراد أكثر منهم على التخلص من الحياة بأيديهم...وهي جريمة منكرة بكل المقاييس الإلهية و البشرية .

لقد رأينا في الحديث الشريف سرداً مركزاً و خاطفاً يكشف عن طبيعة العجلة لدى بعض الناس و اضطرابهم ، وقلقهم ، و عدم تحملهم للمصاعب ، فيقدمون على المبادرة بإنهاء حياتهم ضعفاً و استسلاماً وهو ما تكون نتيجته الحرمان من الجنة ! نسأل الله أن يقوى إيمان المسلمين ليصبروا على البلاء و يتجاوزوا محتته إلى آفاق المنحة والخير العميم . بالله التوفيق .

obeikandi.com

لا یشقی بهم جلیسهم

obeikandi.com



لا يشقى بهم جليسهم

عن أبي هريرة - رضى الله عنهم - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
" إن لله ملائكة سياحين فى الأرض فضلاً عن كتاب الناس ، يطوفون
فى الطرق ، يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا ، هلمو إلى حاجاتكم
فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، فيسألهم ربهم ، وهو أعلم منهم : ما يقول عبادى؟

فيقولون : يسبحونك ، ويكبرونك ، ويحمدونك ، ويمجدونك .

فيقول : هل رأونى ؟

فيقولون : لا والله ما رأوك .

فيقول : كيف لو رأونى ؟

فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيداً، وأكثر لك تسييحاً.

فيقول : فما يسألونى ؟

فيقولون : الجنة .

فيقول : وهل رأوها ؟

فيقولون : لا والله يا رب ما رأوها .

فيقول : فكيف لو أنهم رأوها ؟

فيقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً ، وأشد لها طلباً ، وأعظم

فيها رغبة .

قال : فمم يتعوّدون ؟

فيقولون : من النار .

فيقول الله : هل رأوها ؟

فيقولون : لا والله ، يا رب ، ما رأوها .

فيقول : فكيف لو رأوها ؟

فيقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فراراً ، وأشد لها مخافة .

فيقول : فأشهدكم أنى قد غفرت لهم .

فيقول ملكٌ من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة ؟

فيقول : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم "

(أخرجه البخارى و آخرون).

.....

تمثل هذه القصة النبوية الشريفة نمطاً فريداً بديعاً من القصص

النبوى الشريف ، حيث تعتمد على الحوار البسيط الواضح الدقيق بين الحق سبحانه وتعالى وملائكته فى شئون العباد ومصائرهم ومن خلال هذا الحوار نتعرف على موقف الخلق من الخالق ونتيجة هذا الموقف فى الحياة الآخرة ، كما نتعرف على أهمية الذكر وفضل الذاكرين ، وقيمتهم عند ربهم وعند الملائكة .

تبدأ القصة بسرد مركز يخبرنا عن الملائكة السياحين الذين يسوحون فى أرجاء

الأرض ، **وملائكة سياحون** : أي طوافون فى الأماكن والجهات . وهم

يلتمسون أهل الذكر : أي يبحثون عن أهل الذكر من المصلين والمسبحين وقارئى

القرآن وطالبي العلم ومن يرفعون أيديهم وأصواتهم بالدعاء والمناجاة للخالق الأعظم .

والملائكة الذين يكتبون أعمال الناس ويسجلونها ، وهؤلاء وأولئك يبحثون عن عباد الله من

البشر الذين يذكرونه بصور الذكر المختلفة ، وهى صور تربطهم به سبحانه وتجعلهم

مشغولين إليه فى أعمالهم ويقظتهم ونومهم ، يذكرونه بالدعاء وقراءة القرآن الكريم

وطلب العلم ، وتسبيحه ومراقبته فى كل صغيرة وكبيرة . إن الذكر هو صناعة الضمير

الإنسانى فى أرقى صورة وأفضلها لأنه يحول بين الإنسان ومقارنة الشرّ والعدوان

والتقاعس عن الأعمال الخيرة . إنه يدفعه دفعاً لمرضاة الله سبحانه والتقرب إليه بعمل

الصالحات والدفاع عن القيم النبيلة وردّ الشرّ والعدوان ، والعمل الدائم والدائب لخير

الإنسانية كلها ، وليس لخير نفسه فحسب .

الملائكة السياحون يسعدون حين يجدون قوماً من المسلمين يجتمعون على ذكره

سبحانه ، ويفرحون بهم ، ويتنادون أي ينادى بعضهم بعضاً ، هلموا إلى حاجاتكم .

فيحيطونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، ويجرى بينهم وبين الحق سبحانه الحوار

الكاشف عن قيمة أهل الذكر وفضل الذاكرين .

لقد أشار القرآن الكريم فى العديد من المواضع إلى أهمية ذكر الله والترغيب فيه، وعدم الغفلة عن ذكره سبحانه، ويبيّن أن ذكر الله سبب الخير والفلاح والنجاح، وهو الطريق إلى الغفران والجنة .

قال تعالى :-

".....وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ....." (سورة العنكبوت من الآية ٤٥)

وتأمل الخبر الذى جاء على صيغة أفعل التفضيل (أكبر) مما يعنى أن المسألة ليست هينة وليست بسيطة ، لأنها منوطة بخالق الخلق ومنشئهم وحميتهم .

وقال تعالى :-

"فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ....." (سورة البقرة من الآية ١٥٢)

وياله من شرط و جواب شرط يبينان قيمة الذكر والذاكر فى آن واحد . اذكرونى يا عبادى فأكافئكم أيضاً . إنه شرف عظيم أن يرقى العبد ليكون شيئاً مذكوراً فى حضرة الخالق سبحانه وتعالى .

وقال تعالى :-

"وَأَذْكُر رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ

وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ" (سورة الأعراف ٢٠٥)

والآية الكريمة تشير إلى طبيعة الذكر الذى يكشف مستوى الخالق بالنسبة إلى المخلوق ، فالذكر هنا تضرع وتذلل واعتراف بضعف الإنسان المخلوق إزاء الخالق سبحانه والذكر يأتى فى سياق السرية والمخافتة ، دون الجهرية والعلنية التى قد تلتبس بالرياء والمظهرية.. والذكر الحقيقى موصول دائماً فى كل الأوقات ، الغدو والأصال الصباح والمساء ، النهار والليل ، وهو ما يؤسس للنهى عن الغفلة وعدم الذكر "ولا تكن من الغافلين" . فالغفلة عن الذكر تقود إلى أشياء خطيرة، أبرزها موت الضمير ، ونسيان الآخرة ، وسيادة الظلم والطغيان ..

ثم إن القرآن الكريم يدعو إلى الذكر من أجل الفلاح والمغفرة والأجر العظيم فى الدنيا والآخرة .

قال تعالى :-

".....وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (سورة الجمعة من الآية ١٠)

وقال تعالى :-

"إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَدِيبَتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّاتِمِينَ وَالصَّاتِمَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا" (سورة الأحزاب الآية ٣٥)

قال تعالى :-

"يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا" (سورة الأحزاب الآيات ٤١-٤٢)

وقد ورد فى الحديث الشريف تفاصيل كثيرة عن الذكر وطبيعته وفضله ومردوده على الذاكرين : فعن أبى هريرة -رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

" كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم " متفق عليه .

وعنه - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

" **لأن أقول** : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحبُّ إلى مما طلعت

عليه الشمس " رواه مسلم . وطلعت عليه الشمس كناية عن الدنيا وما فيها .

وعن أبى أيوب الأنصارى -رضى الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال :

من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير

عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل " متفق عليه .

وعن أبى ذرّ - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله : سبحان الله وبحمده " رواه مسلم .

إن الذكر لا يكون مجرد صوت أو لفظ يخرج من اللسان أو الفم ، ولكنه وعى موصول بالقلب بحقيقة العظمة الإلهية وقدرتها على تسيير الكون ونشأة الخلق وتقدير الأقدار، حينئذ يكون "الذكر" عبادة خالصة لله يستحق صاحبها المكافأة الربانية بدخول الجنة والبعد عن الحوار.

إن الحوار القصصى الحى يكشف عن حقيقة الذاكرين وطبيعة تصوّراتهم عن الخالق سبحانه وعن الجنة والنار، كما يكشف عن طبيعة الجائزة التى ينالونها بسبب الذكر، ومنها أن من يحضر مجلسهم ينال جائزتهم نفسها تكريماً لهم وتقديراً يعتمد الحوار على السؤال والجواب ، وهو سؤال يعلم سائله - الحق سبحانه - طبيعة الجواب ، وذلك للإشادة بقيمة المسؤل عنه وبيان علو منزلته وشرف مكانته ..

فالله سبحانه يعلم ما يقول عباده ويفعلونه، ولكنه يسأل الملائكة: ما يقول عبادى؟ فتكون الإجابة : يسبحونك ، ويكبرونك ويحمدونك ، ويمجدونك . وهى أقوال وأفعال تشمل معنى الذكر ووجوهه المتعددة ومنها: التسبيح والتكبير والحمد والتمجيد .

ويأتى سؤال آخر يكشف عمق الإيمان وطبيعته فى نفوس الذاكرين :
"هل رأونى؟".

الرؤية وعدمها مناط الإيمان وغايته وفلسفته ، إذ إن المشركين والكافرين يعلقون كفرهم وشركهم على الرؤية ، أو على ما يحسونه ويلمسونه مادياً ، ولكن المؤمنين الحقيقيين يستخدمون عقولهم فى التفكير والتدبر والتأمل ، فيهدون إلى الإيمان من خلال الحقائق الكونية المحيطة بهم ، ويؤمنون بربهم دون أن يروه أو يشاهدوه. وهنا يكون السؤال: كيف لو رأونى؟ وتكون إجابة الملائكة السياحيين: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تمجيداً ، وأشد لك تسبيحاً ..

إنه منطق الإيمان واليقين الذى يختلف عن منطق الجحود والنكران والمكابرة والعتوّ..

وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لرؤية الله ، فهو لا يختلف بالنسبة للجنة التى يسألون عنها، ولم يروها، ولو رأوها، فسيكونون أشد حرصاً عليها ، وأشد لها مخافة ..

وتكون نتيجة الحوار القائم على التدرج فى بيان المواقف وطبيعة المؤمنين ،
والتشويق الذى يتصاعد عبر الحوار هى إشهاد الملائكة على غفران الذنوب لهؤلاء الذاكرين
الذى ترتبط قلوبهم بحبة الله ذكراً و تسييحاً و تحميداً و تمجيداً .

ثم يكون المغزى النهائى للقصة النبوية الشريفة، هو الغفران لمن يحضر مجالس
الذاكرين ، حتى لولم يكن ذاكراً ؛ أو جاء حاجة يبحث عنها أو منفعة يريدها . إن الله
يغفر له أيضا ، وحين يتساءل الملائكة السياحون بلهجة من يستكثر عليهم التساوى
بالذاكرين ، فإن الله الذى وسعت رحمته كل شىء يجيبهم : "هم القوم لا يشقى بهم جليسهم"
ولا يشقى بهم : أى لا يصير شقياً أو لا يصير من أهل الشقاء والمتاعب .

وكأنه يكافىء الذاكرين مكافأة إضافية من خلال مكافأة جلسائهم الذين يقصدونهم
لحاجاتهم أو قضاء مصالحهم .

إن الذكر كما سبق القول ليس مجرد تمة جوفاء باللسان ، ولكنه وعى بالقلب
بحقيقة الإيمان فى القول و العلم و السلوك ، يجعل المسلم مربوطا بخالقه فى كل الأحوال ،
مرتقياً إلى مرتبة الإحسان التى أشار إليها حديث شريف فحواه أن تعبد الله كأنك تراه ،
فإن لم تكن تراه فإنه يراك . اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين المسبحين الحامدين ،
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تعجبہ نفسہ!

obeikandi.com



تعجبه نفسه !

عن أبي هريرة -رضى الله عنه- قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :
" بينما رجل يمشى في حلة تعجبه ، مرجل جُمته ، إذ خسف الله
به الأرض ، فهو يتجلل فيها إلى يوم القيامة "
(أخرجه البخارى و مسلم و أحمد) .

.....

هذه القصة النبوية الشريفة تعتمد أسلوب السرد المباشر عن طريق ضمير الغائب ، وتخبّرنا بمغزاها عن طريق المضارع ، بوصف هذا المغزى قائماً في كل زمان ومكان حتى يوم القيامة .

نحن أمام رجل معجب بنفسه ، مغترّبها ، يختال أمام الناس ، ويرى نفسه أفضل منهم وأجمل ويبدو اهتمامه بشعره تمشيطاً وترجيلاً دليلاً على هذا الاختيال وذلك الاغترار والعجب والكبر ، إننا بإزاء ظاهرة اجتماعية تكشف عن سطحية فى الفكر وتفاهة فى السلوك حيث يلجأ بعض الناس إلى الشكل والمظهرية ، ويعتقد أن الصورة الخارجية للإنسان تؤهله كى يكون أفضل من الآخرين وأحسن منهم، بينما هذه الصورة الخارجية لا تقدم ولا تؤخر، ولا تعطي للإنسان قدراً أو فضلاً يميّزه عن غيره. بل إن هذه الصورة الخارجية إذا انفصلت عن السلوك المحمود والفكر العميق تتحول إلى صفة مذمومة وخاصة إذا خالطها الكبر والرياء والخيلاء والعجب ، وهى معالم أبعد ماتكون عن ملامح المؤمن الحقيقى الذى ينبغى أن يتحلّى بالتواضع والإخلاص والدقة والإتقان ابتغاء وجه الله وطاعة له وانقياداً .
وقد حذر القرآن الكريم فى أكثر من موضع من الكبر والعلو والاختيال وتصعير الخد ، وضرب أمثلة على هؤلاء الذين تكبروا وتعالوا على الناس ، وكانت عاقبتهم من أسوأ العواقب .

قال تعالى :-

"تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ

لِلْمُتَّقِينَ" (سورة القصص الآية ٨٣)

وقال تعالى :-

"وَلَا تَمَشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا....." (سورة الإسراء الآية ٣٧)

وقال تعالى :-

"وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ

مُخْتَالٍ فَخُورٍ" (سورة لقمان الآية ١٨)

وقال تعالى :-

"إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْكُتُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ

لَتَتَنَوَّأُ بِالْعُصْبَةِ أُولَىٰ الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾

وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن

كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ

الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۗ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا

أُوتِيَ قُرُونٌ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ

خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ

الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ

(سورة القصص الآيات من ٧٦-٨١)

فى الآيات بيان لطبيعة الكبر، واحتقار المتكبر لغيره من الناس ، وازدراءه لهم ، وإعجابه بنفسه حيث لا يرى فيها إلا الكمال والعلم والصلاح ، وهى رؤية مزيفة غير حقيقية، تدفعه إلى الإعراض عن الناس والتكبر عليهم والتبخر فى المشى والسلوك، وهذه كلها صفات لا يقرها الإسلام ولا تتقبلها الفطرة السليمة النقية .

*** **

إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - حذر من الكبر ، ونهى عنه وقال فى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه :

" لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ، فقال رجل : إن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسنا و نعله حسنة؟ قال : " إن الله جميل يحب الجمال " .
الكبر بطر الحق و غمط الناس " رواه مسلم . و بطر الحق دفعه وردّه على قائله ، و غمط الناس : أى احتقارهم وازدراؤهم .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :
" ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكّيهم ، ولا ينظر إليهم ، ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، وملك كذّاب ، و عائل مستكبر " (والحديث رواه مسلم) .

ومعنى العائل : الفقير .

وكما نرى فإن الكبر والخياء والعجب بالنفس صفات لا ترفع صاحبها بل تحط من قدره عند الله وعند الناس جميعاً ، وهى تتنافى مع فضيلة التواضع التى ينبغى أن يتحلّى بها المسلم الحقيقى .

إن الكبر والخياء والعجب تقود صاحبها إلى الهلاك ، وقد رأينا فى القصة النبوية أن شخصية المتكبر المختال المفاخر المعجب بنفسه وحلته أى الرداء أو الإزار الذى يتكون من جزئين أو ثوبين مثل البدلة التى يرتديها الناس على أيامنا ، وشعره المرجل ؛ أى المشط ، يخسف الله به الأرض ، ويجعله يغوص فى أعماقها ليذهب أثره ، أو كما ورد فى الحديث الشريف يتجلل فيها ، كما جرى لقارون الذى بلغ به

الغرور والكبر أن نسب الغنى إلى نفسه " قال إنما أوتيته على علم عندي" وكان
جزاؤه أن خسف الله به الأرض ، فلم يبق هو ولا ماله .
ولعل ما يفسر إخفاق كثير من الأعمال والمشروعات على المستوى الفردى
والجمعى هو المظهرية والصورية التى تتلبس بعض الناس من القائمين بها ..
نسأل الله أن يقينا شرّ الكبر والخيلاء وأن يجعلنا من المتواضعين الذين لا
يريدون علوا فى الأرض ولا فساداً ، والعاقبة للمتقين .

خشيتك يا رب!

obeikandi.com

خشيتك يا رب!

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال :
" قال رجل - لم يعمل حسنة قط - لأهله : إذا مات فاحرقوه ، ثم اذروا نصفه فى
الْبَرِّ ونصفه فى البحر ، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذب به أحداً من العالمين .
فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم ، فأمر الله البرّ فجمع ما فيه ، وأمر البحر فجمع ما فيه ، ثم
قال :

لم فعلتَ هذا ؟

قال : من خشيتك يا رب . وأنت أعلم فغفر الله له .

(أخرجه البخارى ومسلم ومالك والبخارى) .

وفى رواية أخرى :

"أسرف رجل على نفسه ، فلما حضره الموت أوصى بنيه فقال : إذا أنا مت
فأحرقونى ، ثم اسحقونى ، ثم اذرونى فى الريح وفى البحر . فوالله لئن قدر على ربىّ
ليعذبنى عذاباً ما عذب به أحد .

قال : ففعلوا ذلك به .

فقال للأرض : أذى ما أخذت ، فإذا هوقائم ، فقال له : ما حملك

على ما صنعت ؟

فقال : خشيتك يا رب . فغفر له بذلك . (أخرجه مسلم وأحمد وابن ماجه وغيرهم) .

.....

تعتمد هذه القصة فى روايتها على السرد والحوار طريقياً إلى كشف

ملامح شخصية أضلّها الجهل والغفلة ، فعميت عن الصواب ، وتصورت بسذاجتها
وخيالها القاصر أنها يمكن أن تهرب من الله ، ومن الوقوع تحت عذابه بسبب تقصيرها
وإسرافها على نفسها ، ولكن أنى لها ذلك ، والسماوات والأرض فى قبضة خالقهما لا
يحدث فيهما شىء بغير علمه أو تدييره ؟ إن هذا الرجل الذى لم يعمل حسنة قط طوال
حياته أسرف على نفسه أى بالغ فى مقارفة المعاصي والذنوب والخطايا وعدم بذل الخير
 والمعروف ومقارفة الذنوب ، وأسرف على نفسه حين ظن أنه يمكنه أن يهرب من قبضة
الله ، حين يحرق أهله جسده بعد الموت ويذرونه فى جميع الجهات حتى لا يبقى منه شىء ،

أوينثرون نصفه فى البر ونصفه الآخر فى البحر كما جاء فى الحديث الشريف .. كأن جسده الذى تحوّل إلى هباء منثور يمكن أن يتلاشى ولا يعود إلى الحياة مرة أخرى ، ونسى أن من خلقه أول مرة قادر على أن يعيد إنشائه مرة أخرى بطريقة أسهل من ذى قبل ، ويبدو أن هذا الرجل الغافل الساذج نسى أن يقرأ قوله تعالى ؛ رداً على أولئك المكذبين بالبعث وإمكانيته .

" لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۗ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۗ أَتَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ
 جَمَعَ عِظَامَهُ ۗ بَلَىٰ قَدَرِينٌ عَلَىٰ أَنْ نَسُوِيَ بَنَانَهُ ۗ " (سورة القيامة الآيات من ١-٤)

إن جمع العظام وتسوية البنان – أى أطراف الأصابع – مسألة بسيطة للغاية ومثلها جمع ذرات الجسد التى نثرت فى البر والبحر ، لأن البر والبحر ملك لصاحب الكون؛ يأمرهما أن يجمعا ما فيهما ، فيعود الجسد كياناً إنسانياً مكتملاً كما كان ، أو يأمر الأرض – كما فى الرواية الثانية – بأن تعيد ما أخذت واستقر فى جوفها من ذرات هذا الجسد فيستوى قائماً مرة أخرى ، يجيب على الأسئلة ويخضع للحساب .

إن الرجل يُسأل عما دفعه إلى فعل مافعل ، أو ما حملته على ذلك ، فيعلل وصيته القاضية بنثر جسده بعد إحراقه ، عقب موته ، بأن الله سبحانه لو قدر عليه ، فإنه سيعذبه عذاباً شديداً أو سيعذبه عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين ، وذلك بسبب ذنوبه وإسرافه على نفسه ومبالغته فى المعاصى ..

ولكن القصة تتدرج بأحداثها ، ويخيب ظن الرجل ، ويجمع البر والبحر ما فيهما من ذراته أو تخرج الأرض ما فى باطنها من ذراته ، لتتحول بقدرة الله إلى كيان قائم هو كيان هذا الرجل بعينه ؛ و يجد نفسه مقدوراً عليه بقبضة الله ، ويُسأل عن فعله هذا أو سلوكه هذا والدافع إليه لم فعلت هذا؟ ما حملك على ما صنعت؟ فيجيب إجابة تلقائية : خشيتك يا رب ، خفت من عذابك يا رب ..وهنا تكون المفاجأة التى تمثل ذروة الأحداث ، وهى أن الله يغفر له ذنوبه وينقذه من العذاب الذى كان متوقفاً .

بالطبع، فإن الرجل الذى أسرف على نفسه لم يعلم أن رحمة الله لا حدود لها، وأنها تشمل العالم كله ، الإنس والجن ، الطائعين والعصاة ، أليس هو القائل :-

".....وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ.... " (سورة الاعراف من الآية ١٥٦)

وهو القائل جل شأنه :-

" قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ

الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " (سورة الزمر الآية ٥٣)

وقد وردت أحاديث شريفة كثيرة تتحدث عن رحمة الله بعباده و خلقه جميعاً، منها ما ورد عن أبي هريرة - رضی اللہ عنہ - أنه قال ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

" جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة و تسعين و أنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه " .

وفي رواية " إن لله تعالى رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام ، فبها يتعاطفون ، وبها يتراحمون ، وبها تعطف الواحدة على ولدها، وأحر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة " (متفق عليه).

وفي رواية مسلم أيضا من رواية سلمان الفارسي رضی اللہ عنہ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن لله تعالى مائة رحمة يتراحم بها الخلق بينهم ، وتسع وتسعون ليوم القيامة " وفي رواية: إن الله تعالى خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة ، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض ، فجعل منها في الأرض رحمة فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض ، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة " .

إن الله هو الرحمن الرحيم ، والمسلم يردد هذا التوصيف يوميا في صلواته ودعائه وعمله وحركته ، لأنه مربوط بمن أعطاه نعمة الحياة ، وأتاح له فرصة الاستمتاع بهذه النعمة . بيد أن بعض الناس ممن أضلهم الجهل والغواية ينسون رباطهم بالله، وينساقون إلى إشباع غرائزهم والمغالاة في الذنوب، ولكثرة مقارفتهم للآثام، فإنهم يشعرون أنهم صاروا يستحقون العقاب الإلهي الذي لامفر منه .

هؤلاء الجهلة معذرون ، لأنهم فعلوا ما فعلوا عن جهل وسوء فهم ؛ وإن كان فى أعماقهم إحساس بالخوف من الله ومن عذابه لهم على خطاياهم ، وربما كان الجهل دافعاً لهم للاستمرار فى مقارفة المعاصى ؛ وقد يدفعهم ذلك كله إلى الغفلة عن رحمة الله التى وسعت كل شىء ، فيستولى عليهم اليأس والإحباط ، ويعتقدون أن العذاب واقع بهم لا محالة ، فنرى تصرفاتهم تشبه تصرف الرجل الذى نطالع قصته ، ويتصوّرون أن الهرب ممكن من قبضة الله ، فيلجأون إلى مثل تلك الحيلة التى لجأ إليها الرجل بالتوصية بحرق جثته بعد الموت ، وثرمادها فى أرجاء الأرض والبحر ، ولكن هيهات ، فصاحب الكون الذى خلقه وأنشأه قادر على استعادة مخلوقاته بصورة أيسر وأسهل ، لأنه يملك الحياة والموت ، ويملك الفعل والإرادة ، وهو صاحب القدرة المطلقة على فعل ما يشاء سبحانه وتعالى .

وإذا كانت رحمة الله واسعة ، فإن ذلك لا يعنى أن يفعل العباد ما يشاءون اعتماداً على سعة الرحمة ، وانطلاقاً من ثقّتهم المطلقة فى النجاة . فالله سبحانه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، أى إن الغفران أو الرحمة فيما دون الشرك برضا الله ومشيئته وإرادته ، أما الذين يعتقدون أنهم فى مأمن دائم وواثقون من معرفة مصيرهم؛ فإن الحق سبحانه يذكرهم بأنه لا يأمن مكره إلا القوم الخاسرون ..

إنذاً الواجب على المسلم إذا أخطأ هو التوبة إلى الله بإخلاص ، والإقلاع عن المعاصى وطلب الرحمة من المولى سبحانه ، فهو سبحانه أرحم بعبده من الأم بوليدها .. ولتكن هذه القصة التى بين أيدينا دافعاً إلى الارتباط بالله والمزيد من هذا الارتباط حتى يشملنا بعطفه ورعايته ورحمته . وهو خير الراحمين .